خرافة تاريخية

سيدة تورميدور ومصرع روبسبير

أذكر أن مجلة الهلال كانت قد نشرت منذ سنوات مقالاً عن انقلاب ترميدور في أيام الجمهورية الفرنسية الأولى . ذلك الانقلاب الذي أدى الى مقتل روبسبير وازالة حكم الارهاب . وقد ذكر الأديب الفاضل صاحب المقال أن تاليين النائب الارهابي النزعة، عشق تريزا كاباروس التي كانت تسمى مدام فونتني قبل أن تطلق من زوجها الأول ، وأن هذا العشق صقل نفس تاليين وألهمه الرحمة والعدل والاعتدال وكان مندوباً للحكومة الثورية ومجلس النواب للبطش بالرجعيين في بوردو وحوض الجارون . فلما رأى روبسبير أثر ذلك العشق، سجن تريزا كاباروس، فأرسلت الى صاحبها تاليين الرسائل من سجنها تحثه على اسقاط روبسبير، كما أرسلت اليه خنجراً كي يقتله فيخلصها ويخلص الشعب منه ، فأدركت تاليين الحماسة والشهامة، فقام في مجلس النواب وحثهم على اسقاط روبسبير وازالة حكم الارهاب فانقاد له النواب وأسقطوا روبسبير . وهذه القصة تخالطها أغاليط تجعلها أشبه الاشياء بالخرافة . وهي مؤسسة على اشاعة ذاعت بين الجمهور الجاهل عقب مصرع روبسبير، ثم زفها لامارتين الشاعر المؤرخ بخياله ، وان كان خياله في بعض الأحايين موضحاً للحقائق كالمنظار المكبر، ولكنه كان في بعضها خيالاً يطغى على الحقائق . ثم تلقفها المؤرخ أوسين هوسي بأسلوبه الخطابي وهو يعترف أنه أخذ القصة عن إحدى بنات تريزا كاباروس .

أما أن تاليين عشق تريزا فصحيح ، وصحيح أن روبسبير قضى بسجنها ، وصحيح أن تاليين كان من المؤمرين به وانه رفع خنجراً في مجلس النواب، ولكن كل ما عدا ذلك باطل للأسباب الآتية :

أولاً — إن روبسبير كان يدافع عن الارهاب من غير شك، ولكنه كان يكره ما كان يفعله كثير من زعمائه من اتخاذه وسيلة لنيل مآربهم واختلاس الأموال وقبول الرشاوي

والمتاجرة بأوامر العفو عن المتهمين واتخاذ الرشوة سلاحاً معلقاً فوق رؤوسهم ، من دفعها نجاء ومن لم يدفع أعدم. وقد اتهم تاليين بهذه التهم ومن أجل هذه التهم استدعى الى باريس.

وقد اتهمت تريزا كابادوس عشيقته بأنها كانت من وسائط تلك المتاجرة بأوامر العفو وقبول الرشاوي وانتهاب الأموال ومن أجل ذلك لم تذكر اسم تاليين عند استجوابها بعد القاء القبض عليها كأنها ما كانت تعرفه .

هذا التجاهل كان خطتها وخطته في ذلك الوقت قبل سقوط روبسبير وهي خطة معقولة سليمة مسلمة لتجنب خطر تلك التهم . ولكنها تخالف القصة الخرافية التاريخية المعروفة .

ثانياً — إن الأوراق التي خلفها روبسبير وشكاوى تاليين من مراقبته تثبت أن رقابة شديدة كانت مفروضة عليهما فما كانا يستطيعان تبادل الرسائل وعشيقته محبوسة .

ثالثاً — كان السجانون يفتشون المسجونات عن مخبآت ، وقد كانوا في بعض الأحايين يبالغون في ذلك فيفتشون عوراتهن فما كان من المستطاع أن تخبيء تريزا خنجراً . وكانت المسجونة تنزع عنها ثيابها كلها عند دخولها السجن وتفتش ثيابها وأعضاء جسمها أمام عدد كثير من الشرطة .

رابعاً — لو فرضنا جدلاً انها كانت تستطيع أن تخبيء خنجراً فما كانت تستطيع أن تبعث به الى تاليين مع الرقابة الخاصة المفروضة عليها وهي لو استطاعت، فانها ما كان يبلغ بها الحق هذه الدرجة إذ أي رسول كان يؤتمن على تحريض على القتل يؤدي الى اعدامها بلا تردد . وهي تريد النجاة لا الهلاك .

خامساً — كان هم تاليين قبل الائتمار بروبسبير أن يزيل من ذهنه أثر صلته بتريزا التي كانت من أسباب استدعائه واتهامه في نزاهته فكانت خطته أن يقطع صلته بها ويستعديه .

سادساً — بالرغم من دفاع روبسبير عن الارهاب فانه كان يهاجم أي مندوب في المقاطعات بلغه مبالغته في القتل بغير حق كما هاجم فوشيه ، وقال له ان الجريمة مكتوبة على وجهه . ويكفي أن نقارن بين حكم كوتون صديقه في مدينة ليون وبين حكم فوشيه وكولودبوا لنعرف أن أعداءه زعماء الارهاب الذين دبروا الائتمار به لم يفكروا في تعطيل الارهاب عند ائتمارهم به . ويحسن أن نذكر أن المعتدلين من النواب وكانوا أكثر الأعضاء تردداً

قبل أن ينضموا الى ذلك الائتمار خشية انتقال النفوذ الى من هم أمنع منه . إلاَّ أن نفوذ روبسبير في جمعية اليعقوبيين وسيطرته على المجلس البلدي في باريس جعلته خطراً أعظم وكانت تلاحقه عداوة أتباع من حثَّ على قتلهم كما انه أخطأ في مخاصمة أكثر زملائه من أعضاء مجلس السلامة وتهديد النواب تهديداً حسبه كل نائب موجهاً اليه . وعند ما رفع تاليين خنجره كان يعرف أن الارهابيين والمعتدلين مجمعون على اعدامه ولولا ذلك ما اجترأ على رفع الخنجر .

سابعاً — ان انتصار الجيوش الفرنسية ودفع خطر الغزاة عن فرنسا كان أهم سبب من أسباب سقوط روبسبير ، إذ لم يعد هناك داعٍ يسوّغ بقاء الارهاب الذي كان عترة أحكام عرفية شديدة الوطأة قبلها الفرنسيون وخضعوا لها في أوقات الخطر الداهم من الخارج . ولكن إذا كان لانسان فضل في تدبير الائتمار فالفضل في ذلك لفوشيه الداهية الذي كان يعمل في الخفاء كي يؤلف بين الأحزاب ونسب الفضل الى تاليين لأن الجمهور لم يكن يعرف أسرار ذلك الائتمار وراءته اشارة تاليين بالخنجر .

ثامناً — كان روبسبير قد أغرى النواب برفع حدّ أعلا للأجور لا يتعداه عامل أجير . وكانت الأجور قد ارتفعت ارتفاعاً كبيراً حتى منه أن يعطل الأعمال . وكان ارتفاع الأجور بسبب تجنيد كثير من العمال وارسالهم الى الحدود للدفاع عنها . وكلما قلّ عدد العمال ارتفعت الأجور . ولكن الأوراق المالية كانت قد انخفضت قيمتها وارتفعت أثمان الحاجات . ولعلَّ وضع حد لارتفاع الأجور كان من أهم أسباب انصراف رجال الثورة في باريس — وكان أكثرهم من العمال — عن روبسبير عندما اعتصم بالمجلس البلدي، فتمكنت جنود الحكومة من القبض عليه مرَّة ثانية ثم أعدم وانتقل النفوذ الى المعتدلين في جمعية النواب .

تاسعاً — ان تاريخ تاليين وتريزا كابارروس بعد مقتل روبسبير يكذب أيضاً تلك الأسطورة . انه تزوجها كي يستثمرا سياسيًّا وأدبيًّا أسطورة الحب للطور القاهر الذي غلب روبسبير . ولكن تاليين كان مضطرباً في سياسته يخون الحكومة مرًّا . وبالرغم من وعده بالدفاع عن أسرى حملة كيبيرون من النبلاء يسلمهم للقتل . وما زال يتخبط حتى فقد

تسوده . أما تريزا فقد انتقلت الى عشاق مثل بارًا واوفرار وطلقت منه ، بعد أن أسرفا وبذرا الاموال التي جمعاها .

والخلاصة اذاً هي أن عشق تاليين تريزا كاباروس لم يكن له أثر في سقوط روبسبير وانتهاء حكم الارهاب، وان تاليين كان أداة في يد غيره من أمثال فوشيه، وان الحب لم يطهر قلبه ، وان قصة إرسالها الرسائل والخنجر من السجن كي تحث تاليين على اسقاط روبسبير وقتله قصة خرافية، وأن تاليين كان يدافع عن حياته عندما اشترك في الائتمار به بعد أن حاول اعتراضه وغاب ، وبعد أن تذلل له فلم يكن اشتراكه في الائتمار بسبب حبه تريزا، وان الارهابيين الذين رأسوا ذلك الائتمار ما كانوا ينكرون في ازالة حكم الارهاب بل كانوا يريدون بقاءه ما دامت الحرب قائمة لانه كان بمنزلة أحكام عرفية . وانما زال بالرغم منهم عند ما ابتعدت أخطار الحرب وأبى الشعب أن يظل قائماً .

ع . ض

أتقضي مني إن حَانَ حَيْنِي نجاري

وما نِلْتُها إلاَّ بطول عناء

وأبذل جهدي في اكتساب معارف

وتقضي الذي حصَّلته بفنائي

ويحزُنني ألاَّ أرى ليَ حيلة

لإعطائها من يستحق عطائي

إذا وَرِثَ الجُهَّال أبناءهم غنىً

وجاهاً ، فما أشقى بني الحكماء

« من شعر المرحوم حفني بك ناصف »